أبو الحسن علي الحسني الندوي

أوربا ، أمريكا ،
و إسرائيل ،

كشف حقيقة صارخة ، وتنبيه على خطر داهم

— الناشر —

المجمع الاسلامي العلمي

ص — ب ١١٩ ، ندوة العلماء

لكناؤ (الهند)

من مطبوعات « المجمع الاسلامى العلمى » - لكناؤ (الهند)

رقم - ٢٧٨

الطبعة الاولى

١٤١٨ هـ — ١٩٩٧ م

اهتم بالطبع

محمد غفران الندوى

المطبعة الندوية

ندوة العلماء — لكهنؤ — (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

تفضل سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسنى الندوى رئيس ندوة العلماء بإلقاء كلمة ضافية بمناسبة افتتاح العام الجديد للمعهد العالى للدعوة والفكر الاسلامى بندوة العلماء، على دعوة من المسئولين عنه.

و هى كلمة مرتجلة تناولها العلامة الندوى بالتنقيح والحذف و الزيادة، نقدمها إلى الدعاة و المربين لما فيها من إشارة واضحة إلى الحقائق الراهنة التى نعيشها اليوم و نكتوى بنارها المتأججة فى كل مجال من حياتنا المعاصرة.

نقلها من الأردية إلى العربية الأستاذ آفتاب عالم الندوى أستاذ بكلية اللغة العربية و آدابها . جامعة ندوة العلماء .

قامت مجلة البعث الاسلامى بنشر هذا المقال فى عدديها السابع و الثامن من شهرى ربيع الثانى و جمادى الأولى ١٤١٨ هـ ، وهانحن اولاء ننشر هذه الكلمة فى رسالة مستقلة لتكون لفتة للدعاة و المربين و توعية للطبقة المثقفة التى تحكم العالم الاسلامى اليوم .

و ختاما : ندعو الله سبحانه ونرجوه ان ينفع بهذه الرسالة النفع العميم فيفهم المسلمون الخطر الاكبر الحقيقى الذى نبـــه إليه سماحة الشيخ الندوى و وضع النقاط فوق الحروف .

و الله الهـادى إلى سواء السبيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة افتتاح « المعهد العالى للدعوة و الفكر الاسلامى » فى ندوة العلماء عامه التعليمى الجديد ، أرى من المناسب أن أنبهكم - أيها الطلبة الأعزاء ! على خطر الساعة و تحدى العصر حتى تكونوا على حيطة وحذر و على بينة من الأمر ، و حتى تتسلحوا وتستعدوا لمواجهة الوضع بالاقتناع الكامل بصلاحية دين الاسلام لمسايرة هذا العصر المتطور العلمى ، و قيادته ، و إنقاذه من المتاعب والمآسى ، و حتى تستطيعوا أن تقنعوا غيركم بذلك بازالة شبهات تحوم حول الاسلام و تعاليمه و أحكامه ، و إبراز محاسنه فى أسلوب متين جذاب .

أقول بكل صراحة : إن أمريكا و إسرائيل القوتين الصليبية و الصهيونية قد أجمعتا رغم وجود أكبر تناقض بينهما على أن الاسلام وحده يتحدى نظامهما السياسى و الفكرى ، و يحبط خطتهما للاستيلاء و السيطرة على العالم كله .

و إن تأسيس هذا القسم للدعوة و الفكر الاسلامى فى الواقع تحقيق للاهداف و الغايات التى كان قد توخاها مؤسسو ندوة العلماء و القائمون عليها السابقون ، كان مؤسس ندوة العلماء الشيخ محمد على المونغيرى — رحمه الله تعالى — ، قد قام بدور هام فى مقاومة فتنة التبشير النصرانى و القاديانية ، و من خلال مناظراته مع المبشرين النصارى و القاديانيين ، شعر بحاجة العلماء المسلمين وخريجى المدارس الدينية الاسلامية إلى الاطلاع على الأخطار المستجدة ، و إعداد الدراسات المقارنة لمواجهتها ، و إيجاد القدرة و الجدارة لازالة الشعور بمركب النقص من الطبقة المثقفة التى تملك بصفة عامة زمام القيادة سياسياً و فكرياً و علمياً ، والايمان الراسخ بأبدية الاسلام

و خلوده وحاجة النوع البشرى إليـــه فى كل دور وعصر ، والاقتدار على إثبات أن الاسلام وحده هو سفينـــة النجاة و الفوز و الفلاح فى الدنيا والآخرة ، وطريق الانسانية الحقة بالدلائل القاطعة و البراهين الساطعة .

فنظراً إلى هذه الحقيقة الصارخة جاء ولو بتأخير تأسيس هذه الشعبة الهامة سدا لحاجة ملحة و تعبيراً لحلم من الأحلام التى كان قد حلم بهـا مؤسسو ندوة العلماء .

فأولا يجب عليكم أن تفهموا بأن دين الاسلام دين أبدى خالد : إن الدين عنـــد الله الاسلام يشمل هذا الاعلان الربانى كل زمان ومكان ، كما أن أسباب و طرق حصول رضا الله ومعرفة سخطه و الحقائق الغيبيـــة الأبدية لا تتغير و لا تتبدل ، و على العكس من ذلك فان الزمان دائماً فى تغير وتطور بالطبيعة ، ولو لم يكن كذلك لمـا كان ذلك زماناً ، لأنه يضاد الوقوف و الركود ، كما أن الاتجاهات و النظريات و الحركات و المتطلبات والانطباعات ودوافعها دائماً

تتغير و تتحرك وتنتقل من طور إلى طور و من لون إلى لون ، تقوم مختلف الحركات فى مختلف الأزمان ، وتحاك مؤامرات وتوضع مخططات ، وتنشأ جبهات ضد الاسلام ، و تقوم حكومات جديدة ، و تتجدد مقتضياتها و مصالحها و متطلبات أغراضها بوجه مستمر ، سواء كانت هذه المصالح سياسية أو حربية ، اجتماعية أو عائلية ، كما يقتضى كل نظام و حكومة جواً صالحاً و أرضا خصبة لها لتدين لها الرعية وتخضع أمام أربابها ، ويعتز باختيار حضارتهم و أسلوب حياتهم حتى فى المأكل و المشرب و الملبس ، و تحقيقاً لهذا الهدف لا تزال تستخدم وسائل جديدة وآلات حديثة ، و خاصة فى هذا العصر العلمى الراقى الحديث .

يشهد التاريخ أن المؤامرات و المخططات التى حيكت و دبرت ضد الاسلام فى الماضى باءت بالفشل ، و لم ينجح الأعداء فيما قصدوه بها من إلحاق الضرر بدين الاسلام و وقف مده العظيم ، وخرج الاسلام ظافراً منتصراً من جميع

هـذه المشكلات العصبية و المؤامرات الدقيقة التى كان بعضها يكفى للقضاء على ديانة قوية قديمـة أو تحريفها على الأقل ، كما وقع مراراً فى تاريخ الأديان .

يدل التاريخ على أن غارة التتر و الحروب الصليبية كانتا حاسمتين للاسلام و العالم الاسلامى ، لا يوجد لهما نظير سعة و عمقا فى تاريخ العالم ، و تختلفان عن المؤامرات والأخطار الأخرى التى واجهها الاسلام فى رحلته الطويلة الواسعة ، كان يبدو أنهما تقضيان على الاسلام بوصفه دعوة عالمية ، وقوة سياسية وحرية دينيـة ، و تجعلانه محدوداً فى رقعة من الأرض مخصوصة أو فى عنصر خاص أو فى قومية مخصوصة ، لا نفوذ له و لا شخصية ، على المستوى العالمى .

حدثت الغارات الصليبية فى القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى ، وغارات التتر فى القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى بقيادة جنكيز خان و هولاكو .

و أول جيش للصليبيين توجه إلى الشام سنة ٤٩٠ هـ ،

واستولى فى ظرف عامين على مدن « الرها » و « انطاكية » و أكثر قلاعها ، و أخذوا بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م) حتى توسعت أطماع النصارى إلى أن هـم « ريجى نالد » و الى كرك الزحف على الحرمين الشريفين ، و تفوه بما يتضمن الاعتداء على مدفن الرسول ﷺ ، و أبدى نواياه الخبيثة . فى هذه المرحلة الخطيرة قيض الله تبارك وتعالى لقمع هذه الفتنة العمياء ورد هذا الخطر العظيم على أعقابه السلطان صلاح الدين الأيوبى الذى يندر نظيره فى الاخلاص و الورع و التقوى و الشغف بالجهاد و الحنين إلى الشهادة والاستماتة فى سبيل الله و الغيرة الدينية و الحمية الاسلامية وحب النبى الكريم ﷺ ، هزم السلطان صلاح الدين الأيوبى الصليبيين شر هزيمة ، وزاد عن حوزة العالم الاسلامى و أعاد مجد الاسلام وعزه و كرامته ، و أدخل على روح النبى العالية ﷺ الغبطة و السرور ، و إجتمع المسلمون جميعاً تحت رايته الاسلامية ضد الصليب الحاقد .

ولا يغيبن عن البال أن التقدم والازدهار فى التمدن والحضارة والانتشار والشيوع فى العلوم التجريبية والطبيعية الذى شاهده العالم فى قرون متأخرة لم يكن فى ذلك الوقت، وكذلك لم يكن لدى أوربا آنذاك ما جاءت به فتوحاتها واستعماراتها فيما بعد من مشروع صوغ العالم صياغة جديدة وإحداث ثورة فى الفكر والحضارة، ومشروع غسيل المخ، لأجل ذلك لم تكن هذه الغارات إلا غارة عسكرية فحسب، ولم يكن هدفها إلا الاستيلاء على المقدسات الاسلامية فحسب، وأخذ الثأر من المسلمين الذين استولوا على المملكة الصليبية الشرقية ومقدساتها، ومولد المسيح نفسه أصبح تحت حضانتهم وسيطرتهم، لأجل ذلك فان الأخطار التى أحدقت بالعالم الاسلامى بعد ذلك بعدة قرون بسبب استيلاء أوربا وأمريكا على العالم سياسياً وعلمياً وحضارياً، وبسبب استعمار الغرب البلدان الشرقية وإصابة العالم الاسلامى بالانحطاط. لم يكن أى شئ من هذا فى ذلك الحين.

وكان «ريجى نالد» الصليبى الحاقد والى «كرك»

قـــد طمع فى الاغارة على الحرمين الشريفين أيضاً ، و كما يقول المؤرخ الشهير لين بول : نهض لمقاومة هـــذا الخطر عمـاد الدين زنكى ، و أكمل مهمة أبيه ابنه البار الملك العادل نور الدين الزنكى ، و لكن النجاح التـام و الفتح المبين كان منتظراً للسلطان صلاح الدين الأيوبى الذى هزم القوة الصليبية هزيمـة نكراء فى معركة حطين فى يوم السبت ١٤/ ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ (تموز ١١٨٧ م) ، و فتح الله للمسلمين فيها فتحاً مبيناً ، و بالتالى حرر بيت المقدس من براثنها ، فذهبت الاطماع الخبيثـــة و النوايا الشنيعـــة للصليبيين هباءاً منثوراً . و ذلك بفضل الله تبارك وتعالى ونصرته وحمية السلطان صلاح الدين الأيوبى الدينية المتدفقة و غيرته الايمانية المتأججة .

انتقل السلطان إلى رحمه الله — عزوجل — فى اليوم ٢٨/ صفر سنة ٥٨٩ هـ (١١٩١ م) ، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه أحسن ما يجزى به عباده المجاهدين الصالحين الأخيار .

لا يخفى عليكم أن أوربا فى القرن الثانى عشر الميلادى

لم تكن على ما وصلت إليه فى القرن الثامن عشر و التاسع عشر الميلادى من اكتشافات علمية و اختراعات جديدة ومطامع استعمارية و إعداد للآلات الحربية وصناعة للاسلحة الفتاكة ، و ترويج للافكار اللادينية و النظريات المادية البحتة و نفوذ سياسى وسيطرة اقتصادية ، لأجل ذلك فان الغارات الصليبية على عنفها و اتساعها و تنظيمها ، ومع أنها لو نجحت — لا قدر الله — لمهدت الأرض لاشاعة ونشر النصرانيـة و غلبتها على المقدسات الاسلامية و أصابت المسلمين بالذل و الهوان سياسياً فحسب ، لم تكن خطراً مثل الخطر الذى واجهه العالم الاسلامى و العربى فى القرن التاسع عشر و العشرين ، وخاصة بعد ما عرضت بريطانيا وفرنسا حضارتيهما وفلسفتيهما للحياة إلى العالم ، و جعلتاهما رمزاً للتنور و التقدم ، و تقليدهما و تبنيهما لائقاً بالاعتزاز والافتخار فى البلدان الاسلامية و العربية المستعمرة .

و إن غارات التتر كانت مجرد غزو عسكرى ، لم يكن

مدعما بحضارة أو عقيدة أو دعوة و رسالة ، و التجارب تدل على أن الفاتح العسكرى الناجح لا يتقيد بالحدود و الثغور العسكرية ، بل يؤثر فى الشعب المفتوح بأسلوب حياته و أفكاره و عقائده و آدابه ، و كما قلت لكم كان التتار لا يملكون ديناً و لا حضارة ، و لا دعوة و لا رسالة ، لأجل ذلك لم يشكل استيلاؤهم و سيطرتهم عسكرياً خطراً مثل الخطر المعاصر الذى أريد أن أنبهكم على خطورته و فظاعته و سعته و عمقه ، و مما لا شك فيه أن غارة التتار لا يوجد لها مثيل فى العنف و القسوة و الهمجية فى تاريخ الانسانية كلها فضلا عن التاريخ الاسلامى المحدود ، إنها هزت العالم الاسلامى هزاً عنيفاً من أقصاه إلى أقصاه ، كان اتجاه التتار إلى جهة يرادف معنى التدمير والابادة و الذلة و انتهاك الأعراض ، فكل بلاد أو دولة توجهو إليه أبادوها و خربوها ، و إن العالم الاسلامى كله و لا سيما الجزء الشرقى منه وقع تحت هذه الفتنة العمياء على بكرة أبيه ، دخل هؤلاء الوحوش بعد ما خضبوا أرض العالم

الاسلامى كله بدماء أهله و أتوا عليه فى بغـــداد دار الخلافة الاسلامية و مركز العلم و المدنية الأكبر فى ذلك العصر بقيادة حفيد چنگيز ، هولاكو خان و دمروها تدميراً ، فتارة يحمر ماء دجلة بدماء أهل بغداد ، و أخرى يسود بسبب إلقاء الكتب المحرقة فيه ، و كانت منارات عاليه ترفع برؤوس المسلمين المقطوعة تبدو من بعيد ، فغلب على الناس التشاؤم و اليأس ، حتى بدأوا يعتبرون التتار بلاءاً سماوياً ، و مقاومتهم مستحيلة و انهزامهم فوق القياس ، حتى سار المثل : « إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصدق » ، و لكن ذلك إنما كان هجوماً عسكرياً مدوخاً مدمراً ، لم يفكر قادته فى حين من الأحيان فى أن يقدموا بديلا للدين ، أو الحضارة الاسلامية ، فكان غير جدير بالبقاء طويلا و غير لائق بملء فراغ أو إبدال حضارة بحضارة أو دين بدين ، هـذا ، و فى جانب آخر استغل العلمـاء الربانيون و الدعاة المخلصون ذلك الفراغ الهائل الفكرى و العلمى و العقائدى و الدعوى الذى

كان يتوافر فى حياة التتار ، فقاموا بتعريفهم بالحضارة الاسلامية و القانون الاسلامى و الرسالة الاسلامية ، فاستطاع بحول الله و توفيقه العلماء الربانيون و الوزراء المسلمون نقلهم من لا دين إلى الدين ، و من الجاهلية إلى الاسلام ، و كان من الطبيعى أيضاً أن مثل هذه الفتوحات لا تبقى طويلا بهذا الفراغ الشامل .

و هنا نريد أن نذكر تلك القصة الغريبة النادرة المؤثرة التى غيرت مجرى التاريخ ، وجعلت العدو اللدود ولياً حميماً ، يقول آرنولد فى كتابه الشهير Preaching of Islam « الدعوة إلى الاسلام » و هو يذكر سبب شيوع الاسلام فى فرع دولة التتار الايرانية و التركستانية : « إن إسلام تغلق تيمور خان ملك كاشغر كان على يد رجل من أهل الورع و التقوى فى مدينة بخارى ، يقال له الشيخ جمال الدين ، و ذلك أن تغلق كان قد خرج ذات مرة للقنص ، فوجد الشيخ مع جماعة من التجار فى الأراضى المخصصة للصيد له ، فغضب

غضباً شديداً معتبراً ذلك شؤوماً و نحساً ، فأمر بأن توثق أيديهم و أرجلهم ، و أن يمثلوا بين يديه ، فلما مثلوا سألهم تغلق فى غضب : كيف دخلتم هذه الأرض ؟ فأجاب الشيخ بأنهم غرباء ، و لا يعلمون أنهم يجوسون أرضاً مخصصة ، و لما علم تغلق أنهم من الفرس قال : إن هـذا الكلب أكرم أم الايرانى ؟ علماً بأن التتار كانوا يعتقدون بالفرس الشؤم و النحس ، و لأجل ذلك كان تغلق قد أمر بحراسة مكان القنص كله لكيلا يتوجه إيرانى إليه ، بينما أراد الله تبارك و تعالى أمراً آخر ، أراد أن يدخل هذا الشعب الهمج القوى الباسل الشجاع فى حظيرة الاسلام ، و أن يغير عدواً لدوداً للاسلام حارساً اميناً و معارضاً معانداً له ذائداً مدافعاً عنه ، فأجاب الشيخ جمال الدين : « نعم ، قد كنا أخس من الكلب ، و أنجس ثمناً منه لو أننا لم ندن بالدين الحق » و لما راع هذا الجواب الملهم تغلق ، أمر بأن يقدم إليه ذلك الفارسى الجسور عند عودته من الصيد ، و لما خلابه

سأله ماذا تعنى بهذه الكلمات ، و ما ذلك الدين ؟ فعرض عليه الشيخ قواعد الاسلام فى غيرة وحماس انفطر لهما قلب تغلق حتى كاد يذوب كما يذوب الشمع ، وصور له الكفر بصورة مروعة اقتنع معها بضلال معتقداته و فسادها ، و قال : « و لكنى إذا اعتنقت الاسلام الآن فلن يكون من السهل أن أهدى رعاياى إلى الصراط المستقيم ، فلتمهلنى قليلا ، فاذا ما آلت إلى مملكة أجدادى فعد إلى .

هذا ما ذكره آرنولد فى كتابه : « الدعوة إلى الاسلام » و لكن المصادر الأصيلة التركية و الفارسية تذكر هذه القصة فى أسلوب أقوى وأعظم تأثيراً و دقة ، فقد جاء فيها : سأل الملك تغلق ؟ هذا الكلب وأفضل أم أنت ؟ فقال الشيخ جمال الدين : « الآن لا يمكن الاجابة عن هذا السؤال » ، فقال الملك : ما تعنى بذلك ؟ الكلب بين يديك ، ويعرف كل إنسان قيمته ، لا أكاد أفهم أى شئ يمنعك من أن تجيب على هذا السؤال فى هذا الوقت ؟ فقال الشيخ : إن فاضت روحى و أنا مؤمن

مسلم فانى أفضل من الكلب، و إن مت كافراً كان الكلب أفضل منى بكثير . وقع جواب الشيخ الصادر من قرارة النفس من الملـــك موقع السهام المسددة ، فقـال : إذا ما علمت تتويجى فتعال ، فلم يزل الشيخ يعـــد الأيام ، بتوق شديد وتلهف بالغ فى انتظار تلك الساعة المباركة . متى يستبشر بنبأ تتويج تيمور . فيزف إليه أكبر نعمة و أغلى هدية فى الدنيـا والآخرة ، و لكن لم تتحقق أمنيتـه العظيمة هذه ، وحان أو أن رحيله إلى الله تبارك وتعالى ، فقال لابنه رشيد الدين : « لعـــل الله — عزوجل — يريد أن يسعد تغلق تيمور بنعمـــة الاسلام على يديك ، فانه سيصبح ملكاً عظيماً ، فلا تنس أن تذهب إليه ، و تقرأ عليه منى السلام ، و لا تخش أن تذكره بوعده الذى و عدنى به .

و لم يلبث رشيد الدين سنوات عديدة إلا و قـد تم تتويج تغلق تيمور فخرج قاصداً تغلق ، تنفيذاً لوصية أبيه وحرصاً على نيل سعادة و أجر لهداية ملك كافر عظيم و رعيه ،

و لكن كيف يظفر بالمثول بين يدى الملك ، فكر و فكر حتى اهتدى إلى حيلة غريبة طريفة ، بسط سجادته على مقربة من القصر الملكى ، و لم يزل يؤذن ويصلى ، ومضت على ذلك أيام عديدة و لم يبلغ أذن الملك صوت أذانه ، إلا أنه سمعه ذات يوم وقت الفجر ، فاقلق ذلك الصوت نفسه ، و أثار غضبه ، فصاح : ما هـذا الصوت ؟ من يصيح فى هـذا الوقت و يزعجنى و يؤرقنى ؟ قيل : هنا على مقربة من القصر رجل يقوم و يجلس ويصيح هـذه الصيحة ، فأمر باحضارة ومثوله بين يديه ، و هنا أدى رشيد الدين رسالة أبيه و أمانته ، فذكر الملك ما كان قـد حدث بينه و بين أبيه الشيخ جمال الدين ، و الوعد الذى قـد قطعه له ، قال الملك : حقاً ! ما زلت أذكر منذ اعتليت عرش آبائى ، فقال رشيد الدين : إنى أشهد أن أبى مات على الايمان ، وفاضت نفسه ، و هو يقول : لا إلا الله محمـد رسول الله ، فأقر الملك بالشهادتين ، و أعلن إسلامه ، ثم دعا و زيره ، فقال الوزير :

إلى مسلم منذ زمان ، و هكذا دخل هذا الفرع من التتار و فروعهم الأخرى أيضاً فى الإسلام .

و ذلك فى بضع سنين ، فتجلت هذه الحقيقة جلاء الشمس فى رابعة النهار لمرة أخرى ، و هى أن الاسلام لم و لا يزال يملك أكبر نفوذ ، و يتمتع بأعرب موهبة فى تسخير القلوب و النفوس ، و كسب الأنصار و الأصدقاء من بين الأعداء الألداء و المعارضين المعاندين ، و إن التتار لم يسلموا رسمياً فحسب ، بل برز فيهم عدد كبير من العلماء و الفقهاء و المجاهدين و الدعاة و الربانيين و أهل الصدق و اليقين ، و أدوا دورهم الكبير فى حماية حمى الإسلام فى ظروف دقيقة و لحظات عصيبة من التاريخ ، يقول مؤرخ ذو بصيرة نافذة : « إن هناك شعبين اثنين دخلا فى الاسلام بصفتهما شعبين ، لم يكن فرد من أفرادهما إلا و قد دخل فى الاسلام ، هما : العرب و الترك ، و إنى أقول : التتار كذلك دخلوا فى الإسلام على بكرة أبيهم » و الواقع أن كل عصر

يتطلب الدعاة الحكماء الذين يطلعون على نفسية المخاطب و أسلوب العصر ولغته ، و يقتدرون على التكلم بالحكمة و الموعظة الحسنة ، كما قال الله — عزوجل — فى كتابه الحكيم : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ ، لو قمنا بعمل الدعوة طلبا لرضا الله — عزوجل — فحسب ، و بالحكمة . فلا مانع أن تثمر الدعوة أثمارها فى هذا العصر أيضاً ، فانها تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، لا تبديل لكلمات الله ، وفعلا نشاهد آثار الدعوة الاسلامية فى كل بقعة من بقاع العالم . و لكن أكبر تحد و أعظم خطر فى العصر الراهن أن قوتى العالم العظيمتين ، الصليبية و الصهيونية قد أجمعتا على القضاء على الحمية الدينية و الغيرة الاسلامية و انتزاع روح الاعتزاز بالدين و الافتخار بالانتماء إلى دين الاسلام ، و إلى خاتم الأنبياء محمد رسول الله ﷺ من الأمة الاسلامية ، و إحلال الشعور بمركب النقص والاستحياء باظهار نسبتها إلى الاسلام

محل ذلك ، لقد كنت قلت فى الندوة العلمية حول الاستشراق والمستشرقين والاسلام ، التى كانت قد عقدتها أكاديمية العلامة شبلى النعمانى بأعظم كره (الهند سنة ١٩٨٠ م : إن القوى الغربية قد أصابت حيث أدركت أن مجرد الغلبة العسكرية و التفوق و التنظيم والاستقرار السياسى والأسلحة الحديثة الفتاكة والأساليب الحربية الدقيقه والاستراتيجيات العسكرية العلمية لا تكفى لاستعباد شعب وبلد وإبقائهما فى العبودية إلى مدة طويلة ، بل لتحقيق هذا الهدف « النبيل » لابد من إيجاد الشعور بمركب النقص فى ذلك الشعب ، و إزالة الحمية الدينية و الغيرة الملية من قلوب أهله حتى لا يستطيع أحد منهم أن يقوم أمام الطبقة الحاكمة مرفوع الرأس شامخ الأنف ، و تحقيقاً لهذا الغرض قامت حركة الاستشراق برعاية الحكومات الكبرى فى العالم . ولكن كثيراً من المسلمين يحسنون بها الظن ، و يعتقدون أن المستشرقين يشتغلون بالتحقيق و البحث و الدراسة و التصنيف

والتأليف لخدمة العلم و لمجرد اشباع غرائزهم العلمية و أذواقهم التحقيقية ، كلا ! بل تعمل وراء هذه النشاطات والأعمال أغراض استعمارية ، وسياسية ، ودعاية حكومية . هذا خطر عظيم لعصرنا هذا ، يجب عليكم أن تطلعوا على أبعاده وأطرافه ومراكزه و وسائله . كان في أوربا و أمريكا جنود مجندة من المستشرقين تتمتع بكل نوع من الرعاية و المعونة . اصبحت جهودها على تأليف الكتب التي لا تهاجم الاسلام مباشرة ، فانهم كانوا يعرفون جيداً أن الهجوم على الاسلام مباشرة يؤدى إلى استفزاز المسلمين و إشعال غيرتهم الايمانية وحميتهم الإسلامية و إحداث ردود فعل فيهم ضد ذلك ، فغيروا الأسلوب القديم بأسلوب جديد علمي أخطر منه ، يمتاز بأن القارئ لا يكاد يشعر بسهولة بما يدسه المؤلف بشطارة ودهاء في كتابه من سموم وأكاذيب و أباطيل ، و من معان معارضة للحقائق الثابتة ، و ذلك في ظروف الدلائل البراقة و البراهين الخداعة ، يؤثر كل ذلك على قارئ و ادع

ساذج ، و يجعله ينساق إلى ما يشاء المؤلف المتشرق أن يسوقه إليه ، و هو يشعر بأن ذلك هو الحق ، و تتزعزع ثقته بالقرآن الكريم و الحديث النبوى الشريف و الفقه الاسلامى ، و يعتريه الشعور بمركب النقص نحو حضارته و ثقافته وتاريخه ، إن من يقرأ كتابات المتشرقين يبدأ يظن أنه كان على أدنى مستوى من العلم و المعرفة و الثقافة حتى الآن ، و أنه لم يكن مطلعاً على السقطات و النقائص المتوافرة فى تراثنا الاسلامى ، لم يتم تدوين الحديث و الفقه إلا بتأخير كثير ، ولا يكاد يعرف هذا المسكين الحكم و المصالح العظيمة التى لجملتها هذا التأخير ، تاريخ تدوين الحديث النبوى الشريف لو جدنا أن توفيق الله و تأييده كان حليفاً لهذا العمل الجليل ، بل كان معجزة و آية من آيات قدرة الله تبارل وتعالى ، ساهم فى هذا العمل من بخارا وتركستان عباقرة كانوا آيات فى الذاكرة و الذكاء ، لا يوجد لهم نظير فى قرون و أجيال فى التاريخ ، و على سبيل المثال نذكر هنا قصة من حياة الامام البخارى ،

يرويها أبو أحمد بن عدى الحافظ . فيقول : سمعت عدة من مشايخ بغداد يقولون : « إن محمد بن اسماعيل البخارى قدم بغداد . فسمع به أصحاب الحديث ، فاجتمعوا و أرادوا امتحان حفظه ، فعمدوا إلى مائة حديث ، فقلبوا متونها و أسانيدها ، وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر و إسناد هذا المتن لمتن آخر ، و دفعوها إلى عشرة أنفس ، لكل رجل عشرة أحاديث ، و أمروهم إذا حضر المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى ، و أخذوا عليه الموعد للمجلس ، فحضروا ، و حضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان و غيرهم من البغداديين ، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال البخارى ، « لا أعرفه » ، فما زال يلقى عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ ، و البخارى يقول : « لا أعرفه » ، و كان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ، و يقول : « فهم الرجل » . و من كان لم يدر القصة يقضى على البخارى بالعجز و التقصير ،

وقلة الحفظ ، ثم انتدب رجل من العشرة أيضاً ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال : « لا أعرفه » فسأله عن آخر ؟ فقال : « لا أعرفه » ، فلم يزل يلقى عليه واحداً واحداً حتى فرغ من عشرته ، و البخارى يقول : « لا أعرفه » ، ثم انتدب الثالث و الرابع إلى تمام العشرة ، حتى فرغوا كلهم من إلقاء تلك الأحاديث المقلوبة ، والبخارى لا يزيدهم على : « لا أعرفه » فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول ، فقال : أما حديثك الأول فقلت كذا ، وصوابه كذا ، وحديثك الثانى كذا ، وصوابه كذا ، و الثالث و الرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة . فرد كل متن إلى إسناده و كل إسناد إلى متنه ، و فعل بالآخرين مثل ذلك ، فأقر الناس له بالحفظ و أذعنوا له بالفضل ، قال الحافظ ابن حجر بعد ما حكى هذه القصة : « قلت : هنا يخضع للبخارى ! فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب ، فانه كان حافظاً ، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما

ألقوه عليه من مرة واحدة »(١).

كذلك لما احتاجت الأمة الاسلامية إلى حركة تدوين الفقه قيض الله تبارك و تعالى لهذه المهمة الجليلة رجالا يعدون من الأفذاذ و النوابغ الذين أنجبتهم الانسانية فقهاً و أمانة و إخلاصاً و كفاية ، كان منهم الأئمة الأربعة أبو حنيفة (م ١٥٠ هـ) ومالك (م ١٧٥ هـ) و الشافعى (م ٢٠٤ هـ) و أحمد بن حنبل (م ٢٤١ هـ) ، و قد رزق الله تبارك وتعالى هؤلاء الأئمة الفقهاء تلاميذ نجباء ، يعجز تاريخ التشريع كله عن الاتيان بمثلهم ، قاموا بعلمهم ، و زادوا فى ثروته ، و لما ازدهر التفكير العقلى البحت بانتقال العلوم اليونانية ، و السريانية إلى العربية ، و أقبل الناس عليها ، وخاصة فى العراق ودار الخلافة بغداد ، وسيطرت نظريات وعقائد المعتزلة على كثير من العقل والأذهان ، وصار كثير من طلبة العلم الشبان ، و ممن يحبون الظهور و التفوق على الأقران ، يظهرون الاعتزال

---

(١) مقدمة فتح البارى : ص/٤٨٦ ، ط . جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

تظرفاً و تنوراً ، و أصبح شبه المقرر لدى كثير أن المعتزلة يمتازون بدقة النظر و اتساع الفكر و التحقيق ، و تزعزعت عقائد كثير من المسلمين ، وحدث تبلبل فكرى بشيوع الفلسفة و أفكار « الباطنية » فى المجتمع الاسلامى ، ففى هذا الوضع نهض المتفلسف العصيب الامام أبو الحسن على ابن اسماعيل من ذرية أبى موسى الأشعرى ، والامام أبو منصور الماتريدى ، والامام الغزالى والامام ابن تيميـــة الذين قاموا بالدفاع عن عقيـــدة أهل السنة فى حماسة و إيمان ، ودحضوا حجج الفلاسفة و الباطنية ، حتى عادت ثقـــة أتباع أهل السنة بعقيدتهم إلى نفوسهم و زالت عنهـــم مهابة الفلاسفة وسيطرتهم .

و كذلك لم يزل و لا يزال ينهض فى كل عصر ومصر مصلحون و مجددون و علماء ربانيون لمسح الغبار عن وجـــه الاسلام المشرق ، بازالة البدع و الخرافات و العادات والتقاليد الجاهلية و ترويج العقيدة الاسلامية الصحيحة و إشاعة السنة

النبوية ، يقوم هؤلاء المجـدودن بصيانة الاسلام من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين .

و الدليل على أن الاستشراق و أعماله التحقيقيـــة و التأليفيـــة كانت تهدف خدمـــة الاستعمار الغربى ، أن الاستشراق ونشاطاته قـــد ضعفت ضعفا ، وكسدت كساداً بعد ما طوى الاستعمار الغربى بساطه من البلدان الشرقية . و ليس ذلك مصادفة ، و لا أصاب وسائل الاعلام الانحطاط و الضعف ، بل ازدهرت وتقدمت أكثر بكثير من ذى قبل ، وقطعت أشواطاً بعيدة فى الرقى و التقدم ، و لكن نشاهد مع ذلك أن حركة الاستشراق قـد أصابها الركود والجمود ، والآن لا يصدر عن المتشرقين كتاب و لا مقال قيم إلا نادراً ، وفوق ذلك يخلو عملهم الآن مما كان يتسم به قبل من تحقيق و دقـــة نظر وسعة دراسة ومعلومات ، إن دل ذلك عـــلى شئ فانه يدل على أنهم لم يكونوا يتوخون وراء حركة الاستشراق إلا زعزعة عقيـــدة المسلمن وإضعاف

ثقتهم بدينهم وصلاحيتـــه لمسايرة الزمان وتطوراته ، و إثارة الشكوك و الشبهات حول القرآن الكريم ككتاب أنزله الله تبارك وتعالى على خاتم الأنبياء محمد ﷺ و ككتاب محفوظ ومصون من كل نوع من التحريف والتبديل ، وحول الحديث النبوى الشريف و السيرة النبوية و التاريخ الاسلامى و الفقه الاسلامى و علم الكلام ، و إحداث سوء الظن بالشخصيات الاسلامية و كل ما يمت بصلة ما إلى الاسلام ، فأكبر خطر فى هذا العصر أن الجيل الجديد المثقف قـــد اعتراه الشعور بمركب النقص ، و ما المسئول عن ذلك إلا الكتب الانجليزية و الفرنسية التى قام بتأليفها المستشرقون ، و يطالعها هذا الجيل بشعور من التنور والاحترام و التقديس ، فانها تحمل مواد سامة و معارضة للـــذاهب والأديان السماوية بصفة عامة و للاسلام بصفة خاصة .

إن أعظم ما يحزن و أكبر ما يقلق مسلماً بصيراً أن البلدان العربية عادت هدفاً لأمريكا و إسرائيل ، و نجح هجومهما

و غزوهما عقلياً و فكرياً إلى حد كبير ، حتى إن الطبقة المثقفة التى نشأت و ترعرعت فى أحضان الثقافة الغربية ، و التى تعتلى بصفة عامة عرش الحكومة و تقيد مقاليد الأمور و الحكم ، و تملك زمام الفكر و التعليم و التربية ، قد أصابها الشعور بمركب النقص ، و الوهن والضعف فى إيمانها وعقيدتها و اليأس من مستقبل الاسلام ، وتتصدر البلدان العربية الاسلامية مصر و الجزائر حيث بلغ خوف قيادتهما من الانتفاضة الاسلامية إلى حد كبير من الحساسية الزائدة ، ومن نتائج هذا التخوف والذعر والاشفاق والحذر الشديد من وجود الشعور الدينى القوى فى الجماهير والاعتزاز بالدين والطموح إلى أن تسود الحياة الاسلامية بجميع شعبها ومناحيها على البلاد ، أنه نشأ صراع فكرى وعاطفى بين الطبقات الحاكمة أو القائدة الزعيمة ، و بين الجماهير و الشعوب المسلمة ، و لا يخفى على من له إلمام بتاريخ استقلال الجزائر وطرابلس المغرب ومصر من الاستعمار ، أن الذين قاموا بقيادة حركة التحرير ، وغامروا

فى سبيل ذلك بالنفس و النفيس و الغالى و الرخيص ، هم العلماء و المشايخ و خريجو المدارس الدينية العربية ، و زعماء الحركات الاسلامية . و لكن اليوم عاد هؤلاء العلماء والدعاة أكبر خطر للبلاد و أمنها وسلامتها ، اعتبر الامام حسن البنـاء و سيد قطب خطراً فاستشهدا مع كثير من زملائه ورفاقه ، فكل ما يمت إلى الاسلام بصلة و ما يظهر من عمل ببعض التعاليم الاسلامية على مستوى فردى أو ظهور بمظهر إسلامى والاكثار من الاستشهاد بالكتاب و السنة والانكار على بعض المنكرات و تقليد الغرب تقليد الأعمى فضلا عن المطالبة بتطبيق الشريعـــة الاسلامية و تمثيل الحياة الاسلامية والطراز الاسلامى ، كل ذلك يشكل فى نظر حكومة الجزائر خطراً أكبر من هجوم أجنبي أو غارة من عدو ، بل تهاب هذه الحكومات من الصحوة الاسلامية أكثر مما تخاف من إسرائيل و هجومها المفاجئ هذه مأساة كبيرة ، إن بلداً إسلامياً عربياً قـــد قاد العالم الاسلامى و العربى فكرياً و علمياً و أدبياً

فى الماضى زمناً طويلا ، بل يقود اليوم أيضاً ، و يحتضن أكبر مؤسسة تعليمية و تربوية مثل : « الجامع الأزهر » حيث يتعلم أفلاذ كبد أفريقيا و البلدان الاسلامية و العربية بكثرة كاثرة وعـــدد هائل . و قـد انجبت عدداً كبيراً من العلماء و الدعاة و المصنفين و المحققين والأصوليين و الشعراء والأدباء و المصلحين و القضاة ، مثل هذا البلد تحارب قيادته الاسلام و الشريعة الاسلامية بجميع طاقاتها و وسائلها و بشتى كثير من العنف و الهمجية .

إن التحدى المعاصر و الوضع الباعث على القلق ان البلدان العربية تتخوف من الدعوة الاسلامية ، و فى جانب آخر لا توجد بهـا حركة منظمة قوية أو جماعة تجذب الناس إليها أو داعية يستثير فيهم الحميـــة الاسلامية و الغيرة الدينية ، ويشعل شعلة الايمان و ينفخ روح الجهاد وحب النبى الكريم ﷺ الذى يغلب على كل حب ، و يرسخ الاستهانة بزخارف الحياة و الحنين إلى الشهادة وعاطفة التفانى فى سبيل الله تعالى .

إن البلدان العربية الاسلامية التى ندين لها فى ديننا و عقيدتنا و معرفتنا لحقيقة الانسانية و المشاعر النبيلة ، وغايتنا و واجباتنا هى التى بلغت الرسالة الالهية الأخيرة إلى مشارق الأرض و مغاربها ، و هى منة عظيمة على النوع البشرى كله ، لا تعد لها جميع المنن التى من بها عليه الحضارات الكبرى الراقية و العظماء من الملوك وكبار الفلاسفة ، و العلوم الانسانية ، و المعارف البشرية جمعاء .

إن الدعوة الاسلامية قد خفت صوتها ، بل اختنق فى العالم العربى اليوم ، و بعد قمع حركة « الاخوان المسلمون » لا يكاد يسمع حسيس من الدعوة إلى الله ، و إلى تطبيق الشريعة على جميع المجالات ، و إلى رفض القوانين الوضعية المطبقة فى هذه البلدان ، وسبب ذلك أن الدعاة المسلمين الأكفاء و العلماء الربانيين و أهل الحركات الدينية اضطروا للهجرة ومغادرة الوطن بما نالوه من أرباب السلطات والحكومات من اضطهاد وظلم وعنف وبربرية ، ونتيجة لذلك

قـــد أتى على مصر نفسها حين من الدهر لم يكـــد يتصور أهلها . و لا يدور فى خلدهم بصفة عامة ، أن المسلمين أيضاً يستطيعون أن يؤثروا على عالم اليوم ، لما صدر كتابى : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » بادئى ذى بدء من القاهرة كتبت صحيفة مصرية متعجبة معلقة على الكتاب وكنت مقيماً فى مصر يومـــذاك « هل المسلمين أيضاً يستطيعون التأثير على العالم ؟ هل خسر العالم شيئاً بانحطاط المسلمين ؟ هل فقد شيئاً بغيابهم عن قيـادة العالم ، كتاب غريب ؟ ! عنوانه مثير للدهشة و العجب ، ما للمسلمين و عددهم و وضعهم و وسائلهم و للتأثير على العالم » .

و إن كنت قـــد استوحيت ذلك من شعر محمد إقبال — رحمه الله تعالى — فى قصيدته : « برلمان إبليس » فى ديوانه الأخير : « أرمغان حجاز » (هدية الحجاز) ، وصف وصور فيها ، جلسة برلمانية ، خضرها و تناقش فيهـا شياطين العالم و وكلاء النظام الابليسى ، واستعرضوا فيهـا الاتجاهات

و الحركات و المذاهب السياسية العصرية التى تهدد مهمتهم فى العالم ، وتحبط مساعيهم أو تعرقل سيرهم ، و أبدوا فيها آراءهم و وجهات نظرهم ، فحكم على هذه الآراء و الدراسات وعارض أكثرها فى ضوء تجاربه الواسعة . و قال : « إن كنت خائفاً فانى أخاف أمـــة لا تزال شرارة الحياة و الطموح كامنة فى رمادها ، و لا يزال فيها رجال تتجا فى جنوبهم عن المضاجع و تسيل دموعهم على خدودهم سحراً ، و لا يخفى على الخبير المتفرس أن الاسلام هو فتنـــة الغـــد ، و داهيه المستقبل ، ليست الاشتراكية ، و لا شئ آخر ، و فى الأخير يقول : « يا ويلتنا و يا شقوتنا ! لو انتبهت هذه الأمـــة التى يعزم عليها دينها أن تراقب العالم وتعسه » (١) .

إن أعضل مرض و أكبر خطر للبلدان العربية اليوم أنهـا لا تزال تزداد يأساً وقنوطاً من مستقبل الاسلام ، لا تكاد تفهم أن الاسلام هو وحده سفينة النجاة للعالم من

---

(١) روائع إقبال باختصار .

كل نوع من المشكلات و المآسى والأزمات ، سواء كانت سياسية أو اجتماعية ، خلقية أو دينية ، مادية أو روحية ، و لا شك فى أن هـــذا العمـــل من أهم واجبات الوقت ومسئوليات الساعة .

لابد أن تتسلحوا بالكفاءات و المواهب و الصفات التى تمكنكم من التأثير حتى على الناطقين بالضاد ، و هذا يتطلب أن تكون لغتكم فصيحة بليغة مؤثرة ، و أسلوبكم أخاذاً جذاباً ، وثقافتكم واسعة عميقـــة ، ونيتكم خالصة مخلصة ، حتى يندفع العرب قائلين . ما أحسن هـــذا الكلام ، ما أحسن هذا الأسلوب ، و ما أسمى هذه الرسالة ، ونحمد الله ـ عزوجل ـ على أن المجمع الاسلامى العلمى بنـــدوة العلماء يقوم باصدار كتب و مؤلفات ينظر إليها إخواننا العرب بعين التقـــدير والاعجاب ، و يقرأونها بطرب ونشوة ، ذات مرة كنـا جالسين متحدثين فى بيت الأخ العزيز الأستاذ عبد الله عباس الندوى بمكة المكرمة ، و بهذه المناسبة كان زوج أخت الامام حسن

البنـاء الشهيد الخطيب المصقع الشهير عبد الحكيم عابدين أيضاً موجوداً ، رأيته يطالع فى كتاب : « الاسلام بين لا ونعم » لابن أخى الأكبر محمد الحسنى — رحمـــه الله تعالى — ثم استأذنت للحظات ، وقمت ، فلما رجعت بعد دقائق وجدت الأستاذ عابدين لا يزال مقبلا على الكتاب وعيناه تدمعان ، ثم توجه إلى سائلا : من صاحب هـــذا الكتاب يا أستاذنا أبا الحسن ؟ ! فأخبرته : ابن أخى ، فقال : اقرأ عليه منى السلام .

إن إيجادكم لكفاءات و إشعال مواهب للقيام بعمل الدعوة خير قيام فى العـالم العربى سيكون من أعظم مآثركم و أكبر فعالكم فى الدنيا والآخرة ، و الله سبحانه وتعالى قد هيأ أسباب و وسائل ذلك ، فعليكم بالعزم الأكيد على أنكم لا تدخرون وسعاً فى تحليـــة نفوسكم بصفات داعية مسلم ناجح ، و إيجاد كفاءات فيكم ، تضمن لكم النجاح فى مجـال الدعوة فى العالم العربى خاصة ، فانه رغم ما فيـــه من خيرات وحسنات

و من معانى الكرم و الشرف لا يوجد لها نظير فى أى شعب آخر من شعوب العالم ، بأمس حاجة إلى دعوة التصلب فى العقيدة والاستقامة فى الدين و التمسك بالشريعة فى جميع نواحى الحياة ورفض الأفكار المنحرفة المستوردة ، و من مؤلفاتى : « إلى الاسلام من جديد » ، « الطريق إلى المدينة » ، « الاسلام ، أثره فى الحضارة وفضله على الانسانية » ، « العرب والاسلام » ، « أحاديث صريحة مع إخواننا العرب و المسلمين » ، « أجاهلية بعد الاسلام أيها العرب ؟ ! » ، « إلى الراية المحمدية أيها العرب » ، وسلسلة الاسمعيات ، كتب تهز العرب هزاً و تدهشهم ، و تذكر مكانتهم ومسئوليتهم نحو العالم الانسانى ، و أيضاً ، تحرك حميتهم وهممهم ومشاعرهم ان عجمياً هندى الثقافة يخاطبنا ويدعونا إلى دين آبائنا ، و إلى القيام بعملنا و واجباتنا نحو الانسانية ، و ان ثقته و إيمانه بالاسلام و بمستقبله أقوى وأمتن من ثقتنا وإيماننا بكثير ، لو وفق الله تبارك وتعالى أحداً منكم لذلك ، ونفع به الذين

بلغوا الرسالة الالهية الأخيرة إلى النوع الانسانى ، و آذنوا برحيل الشرك و الكفر من العالم ، و أسعدوه بعقيدة التوحيد النقية لكان له ذلك أكبر ذريعة و أحسن وسيلة للتقرب إلى الله ورضاه ، و لابد أن تكون هذه العاطفة فى خريجى مدارسنا الدينية العربية أقوى وأشد من غيرهم ، فاننا نفهم الدين مباشرة عبر لغة إخواننا العرب ، وليست عقيدتنا هذه و إيماننا هذا إلا غيضاً من فيض جهود آبائهم و تضحياتهم فى سبيل الدعوة و الجهاد ، فهم أولى وأحق بأن نرد إليهم النعمة التى قد أنعم بها علينا آباؤهم وأجدادهم كما يرد تلميذ بار إلى أستاذه الحبيب الكريم ، و خادم إلى سيده المطاع المحبب ، الجميل بالجميل ، و النعمة بالنعمة ، لأجل ذلك فان إنشاء كلية الدعوة و الفكر الاسلامى فى ندوة العلماء يبعث على السرور و التفاءل ، و يستحق زملاؤنا و رفاقنا التهانى و الثناء على ذلك .

نصيحتى إليكم يا أبنائى الطلبة أنكم إذا تخرجتم من هذا

الدار فلا تتخرجوا إلا مبلغين ودعاة إلى الاسلام الذى هو دين خالد أخير أنزله الله تبارك وتعالى هداية و رحمة للعالمين جميعاً لا يأتى بعده دين إلى يوم القيامة ، و هو منهج شامل لجميع نواحى الحياة الانسانية جمعاء ، وصالح لكل زمان و مكان ، و هو وحده يستطيع إنقاذ العالم من جميع مشكلاته ومصائبه ، لا يمكن التقدم والازدهار إلا بالعودة إلى هذا الدين ، ولا يمكن الفوز و الفلاح فى الدنيا والآخرة إلا بالتمسك بشريعته ، و لا تنزل بنا رحمة ونصر من عند الله تبارك وتعالى إلا بالعمل بمقتضياته ومتطلباته فى كل مجال من مجالات الحياة ، لابد أن ترسخوا هذه الحقيقة الأبدية فى أذهان المسلمين بصفة عامة ، و فى أذهان الطبقة المثقفة منهم بالثقافة العصرية بصفة خاصة ، فانها منبهرة بالحضارة الغربية اللادينية ، والآن يتخوف منها أن تعجب بالحضارة الهندوسية الوثنية ، فعليكم أن تستعدوا استعداداً تاماً للقيام بهذا العمل الجليل المبارك ، و لا يدور فى خلدكم أبداً أن تستغلوا معرفتكم للغة العربية واتقانكم فيها

وقدرتكم على التكلم و الكتابة بها فى الحصول على وظيفة من الوظائف فى بلد عربى و كسب المال وجمعه ، فليس ذلك ثمناً لنعمتكم هذه العظيمة ، بل هو نكران للجميل ، و كفران بالنعمة ، وإحباط لجهود وتضحيات الشيخ محمد على المونغيرى مؤسس هذه الدار وزملائه وأعوانه الشيخ ظهور الاسلام الفتحفورى و العلامة الشريف السيد عبد الحى الحسنى ، ومن أسهموا فى ترقية هذه المؤسسة العلمية و التربوية كالعلامة شبلى النعمانى ، و من أبنائها الكبار الممتازين مثل العلامة السيد سليمان الندوى — رحمهم الله تعالى — وجزاهم أحسن ما يجزى به عباده المخلصين والعلماء الربانيين .

إن الاعتراف بالنعمة و الشكر على هذه النعمة أن تكونوا دعاة مبلغين وتقوموا بتطهير أذهان المسلمين من الشعور بمركب النقص والاعجاب بالحضارات الغير الاسلامية ، وباعادة وتجديد الثقة والايمان فى نفوس المسلمين بالاسلام و شريعته من جديد ، هذا ، و فى جانب آخر يجب أن تستطقوا العرب

لكى يقولوا : « هذه بضاعتنا ردت إلينا

اللهم وفق لما تحب وترضاه ، و صلى الله تبارك و تعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد و آله و اصحابه أجمعين .